



سورة الزمر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (30))

شرح الكلمات:

(إِنَّكَ مَيِّتٌ): أي مقضي عليك بالموت في وقته.

(وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ): أي كذلك محكوم عليهم به عند

انقضاء آجالهم.

المعنى الإجمالي:

قوله تعالى {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} نزلت لما استبطأ المشركون موت الرسول صلى الله عليه وسلم أي لا شجاعة في الموت إنك سموت يا رسولنا وموتون.

وَقَدْ نَزَلَ ذَلِكَ لِتَكْرِهِهِمْ بِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ صَائِرُونَ إِلَى الْمَوْتِ فَإِنَّ الْمَوْتَ أَجْرٌ مَا يُلَاقِي بِهِ السَّادُّ فِي غُلَّوَالِهِ إِذَا كَانَ قَدْ اغْتَرَّ بِعَظَمَةِ الْحَيَاةِ وَمَا يَتَفَكَّرُ فِي اخْتِيَارِ طَرِيقِ السَّلَامَةِ وَالنَّجَاةِ، وَهَذَا مِنْ انْتِهَازِ الْقُرْآنِ فُرْصَ الْإِشْرَادِ وَالْمَوْعِظَةِ.

و(إِنَّكَ) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم «ميت وإنهم ميتون» سموت وموتون فلا شجاعة بالموت، نزلت لما استبطأوا موته صلى الله عليه وسلم.

يا من أراد العبرة من وفاته صلى الله عليه وسلم! فأعظم عبرة أن تتجه وأن تستقيم على مبدأ لا إله إلا الله، وأعظم موعظة وأعظم نصيحة أن تأخذ ميراثك وحظك من تركة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما كانت تركته أموالاً، ولا سيارات، ولا قصوراً، ولكن قرآن وسنة فأكر عبرة أن تفقد نفسك من غضب الله، باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم.. لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُتُوءٌ حَسَنَةً لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَكَرِهَ اللَّهُ كِبِيرًا [الأحزاب: 21].

2

والعبرة الأخرى: أن تعلم أن قضية التوحيد أخطر قضية في حياة الإنسان، كان ينادي بما صلى الله عليه وسلم قائماً وقاعداً وعلى جنبه، وفي حياته وفي مماته، في سكرات الموت يقول: لا إله إلا الله، وفي سكرات الموت يقول: (لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد).

والعبرة: أن الرسالة باقية، وأن هذا الدين لا يموت، قد يمرض أهله، ولكنه لا يمرض، لا يصيبه حتى أبداً، لأنه دين محفوظ من عند الله، قال الله: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْكِتَابَ وَإِنَّا لَهُ خَافِظُونَ [الحجر: 9].

وعبرة أخرى: وهي أن الدنيا تافهة وحفيرة، فعجباً لعبادها! وعجباً للمساجدين ها! وعجباً لمن يركع عند أبوابها! أما اعتظوا برسول الله صلى الله عليه وسلم؟! أما أخذوا درساً من رسالته؟ أما سمعوا ما فعل يوم ما ترك إلا الجميل والعمل الصالح؟

لا نقول للناس: اتركوا الأموال، واخرجوا من القصور، ولا تركبوا السيارات، ولكننا نقول: اسكوا في القصور، واجمعوا الأموال، واركبوا السيارات، ولكن لا تنسوا نصيبكم من الحي القيوم، اذكروا حفرة ضيقة، اذكروا لقاءكم عند الله يوم تأتون حفرة عراة غرلاً بماء، اذكروا يوم يقول الله: وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُغْلًا لِّأَيْدِيكُمْ فَهِيَ أَفْجَى لَّكُمْ وَلَقَدْ تَفَطَّعْتُمْ بَيْنَكُمْ وَحَلَلْنَا عَنْكُمْ آلِهَتِهِمْ [الأنعام: 94].

وعبرة أخرى: أن المسلم لا يهمله ولا يشغله عن الله شاغل، ومن شغله عن الله شاغل شغله الله، وطبع الله على قلبه وأتساه ذكره، فالرسول صلى الله عليه وسلم على كثرة أعماله وأشغاله، وعلى كثرة ما يبويه من أغراض وأعراض ما نسي الله خطة واحدة، حتى في سكرات الموت يقول: لا إله إلا الله.

وعبرة أخرى تؤخذ من سياق وفاته صلى الله عليه وسلم: وهي أن الموحد حقاً لا ينجح بالأحداث، لأنه يعيش لله ويموت لله ويبعث إلى الله.

3

فإذا كان الموت هو مصيبة، وإذا كان الانتقال إلى الله هو رزية؛ فما بالكم يا أجيال محمد صلى الله عليه وسلم، وما أتباع محمد صلى الله عليه وسلم بمجاذت وفاته عليه الصلاة والسلام؟! بلع الرسالة، وجاهد في الله، وقام الليالي منذ قال الله له: يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُ * فَمِمَّ الْإِنِّ إِلَّا قِيلَةً [المزمل: 1-2] فو الله ما ارتاح ثلاثاً وعشرين سنة، قام فما ارتاح، ووقف فما جلس، سهر وعانى الجلال والجهد وفي توصية العباد، ونصحهم إلى الله عز وجل، وما وقف بعرفة حوله أحبابه ومحبيه وأصحابه وأقربوه، كلهم يرى فيه القدوة والأسوة، وكلهم يرى فيه الأب الحاني، والأخ العاطف، والمشفق الناصح، والصادق الأمين الذي أنقذهم الله به من الوشيعة، وقف وأنزل الله سبحانه وتعالى عليه قوله: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا [المائدة: 3] فبالحق على الناس، وعلم الناس أن فحوى الخطاب ولسان الحال يقول: إنك ميت فأهلب، وإنك مرتحل فتجهز، وإنك منتقل فودع أصحابك، فيقول عليه الصلاة والسلام بعدها: (يا أيها الناس: لعلي لا أراكم بعد هذا العلم) والله ما رآهم بعد ذلك العلم، فإذا البكاء وهم واقفون في هذا الصعيد، وإذا دموع الحزن تنهمر..

وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم إلى عظم هذه المصيبة التي حلت بالمسلمين فقال: ((يا أيها الناس أيما أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليعتز بمصيبته في عن المصيبة التي نصيبه بعيري، فإن أحداً من أمي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبي)) [ابن ماجه (1599)]، قال السدي: ((«فليعتز»)) ويخفف على نفسه مؤونة تلك المصيبة بتذكر هذه المصيبة العظيمة، إذ الصغرة تضمحل في جنب الكبيرة فحيث صبر على الكبيرة لا ينبغي أن يبالي بالصغرة.. [حاشية السدي على ابن ماجه (1599)]

4

إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (193)



قوله من تفسير سورة الزمر الآية 30

تعالى ولا تباغ

ولا تنسوا من صالح دعائكم

أعدتها (هزيمي إبراهيم هزيمي)

1

8- وفاته صلى الله عليه وسلم ليست كوفاة سائر الناس، ولا كسائر الأنبياء؛ إذ يموت صلى الله عليه وسلم انقطع النبوات، وانقطع خير السماء وحيي الله عن الأرض.

10- إن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ودع الأحياء والأموات، قال عتبة بن عامر: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوماً فصلى على قتي أحد صلاة الميت بعد ثمانين سنين كالمودع للأحياء والأموات، ثم صعد المنبر فقال: إني بين أيديكم فرط لكم، وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، فإني والله أنظر إلى حوضي الآن من مقامي هذا، وإني قد أعطيت مفاتيح خزان الأرض أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخاف عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وتقتلوا، فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم) قال عتبة: وكانت آخر نظرة نظرنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر. أخرجه البخاري.

11- مصيبة المسلمين بالرسول صلى الله عليه وسلم - ليست مثل المصائب بالآباء والأمهات ولن تأتي مصيبة بعدها أعظم منها، ولن يأتي بعده صلى الله عليه وسلم - ولم يأت قلبه من هو خير منه للبشرية، فهو أفضل خلق الله على الإطلاق.

12- إن ما يكشف الكرب عند فقد الأحبة التأمل والتأمل والتدبر والنظر في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ففيهما ما تقر به الأعين، وتسكن به القلوب وتطمئن له تبعاً لذلك الجوارح مما منحه الله، ويمتنع لمن صبر ورضي واحتسب من الثواب العظيم والأجر الجزيل، فلو قارن المكروب ما أخذ منه بما أعطى لا شك سجد ما أعطي من الأجر والثواب أعظم من فوات تلك المصيبة بأضعاف مضاعفة ولو شاء الله جعلها أعظم وأكبر وأجل، وكل ذلك عنده بحكمة وكل شيء عنده بمقدار والله اعلم....

وصلى الله على محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

6

الفوائد:

- 1- تقرير أن كل نفس ذائقة الموت.
- 2- أن كلنا عبيد لله عز وجل، والله وحده الباقي، وهو الذي سيحاسبنا جميعاً، وهو الذي سيؤقنا أمام أعمالنا، لماذا فعلتم؟ لماذا لم تفعلوا؟
- 3- الموت حق، فالأنبياء ماتوا، والمؤمنون ماتوا، والكفار ماتوا، والأغنياء ماتوا، والفقراء ماتوا، والأصحاء ماتوا، والمرضى ماتوا، والأقوياء ماتوا، والضعفاء ماتوا، والظالمون ماتوا، والمظلومون ماتوا، وكل مخلوق يموت.
- 4- كان السلف إذا آتسوا من قلوبهم قسوة تذكر الموت والقدم على الله وما بعد الموت..
- 5- أن الموت سبيل كل حي، فلا أحد كائن من كان سيخلد في هذه الدنيا، قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر: 30].
- 6- زهد عليه الصلاة والسلام في هذه الحياة الدنيا، ورجعته في الآخرة، ففي صحيح البخاري من حديث عمرو بن الحارث، قال: "ما ترك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند موته درهمًا ولا دينارًا ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً إلا بقلعه البيضاء التي كان يركبها وسلاحه وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة". وإنه عليه الصلاة والسلام: توفي ودرعه مرهونة عند يهودي .
- 7- أن موته عليه الصلاة والسلام من أعظم المصائب، ولن يتلى المسلمون بمصيبة أعظم من وفاته، روى الدارمي في سننه من حديث ابن عباس: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصابه بي فإنها من أعظم مصائب" [21] ليكون ذلك تسلياً له في مصيبته.

5